

## ضرورة الوحدة الأدبية

بين مصر والسودان

بقلم التيجاني يوسف بشير

لن يكون مثل الأدب بصوغ الأمم على أسلوب واحد ،  
ويصنع منها عقلية واحدة ، ويقوم أساس وحدتها على الروح ،  
وبناء مجتمعا على العاطفة ، ودعامة ألفها على الجمال ، وقاعدة  
إحاطها على الصدق ، وصرح كيانها على يقظة الشعور ، فلا  
يتزلزل ولا يضطرب

ولن يكون مثل الأدب يوحد بين مشاعر الأمم ، ويعين على  
توحيد المنافع ، ويحقق من حلم الوحدة بما فيه من صور الفكر  
وجمال الفنون . ولا يمكن لها من ذلك إلا أن تعني به فتوحد من  
الأساليب ، وتوافق بين الانتاج ، وتقارب بين الأفكار ووجهة  
النظر الى الكون والحياة . فمركز الأدب في وحدة الأمم مركز  
الفكرة في خلق الأدب ، تؤسسه على القوة ، وتبعثه على الجمال ،  
وتهضمه على العاطفة ، فيكسب من دقائقها في الضياغة والتعبير  
ما يأخذ على قاعدته الأمم فيهبها من دقائقه هو ما نأخذ به أفرادها  
على وحدة الشعور وجماعاتها على توحيد المصلحة . ولا أنفع لمصر  
ولا أجدى للسودان في سبيل وحدتهما الكبرى من أن يعنى

وسرنا فاذا الطريق واسعة لاحبة لا تحتاج إلى دليل . قلنا  
للدليل أ كذلك طريقنا إلى بغداد ؟ قال لا . فسرنا لا نستهديه  
ولا نبالي ، إلا سؤالا في الحين بمد الحين « هل نمت ؟ » فيقول  
لا ، فنقول احذر أن تنام أو تقع فنضل في هذه الصحراء . فنعم  
الدليل أنت . لولا أن من الله بك علينا لهلكنا . ولسنا تنكر على  
دليلنا أنه كان حديثا ممتعا في الصحراء سميناه الدليل النائم ،  
واهتدينا به إلى الفكاكة وإن لم نهدت به إلى غاية ١

بلغنا مدينة السلام منتصف الليل فأوتينا إلى الفندق وانصرف  
دليلنا ثم جاء صباحا يطلب أجره فضحكنا وقلنا لخادم الفندق  
أبلغه أنا وهبنا له أجره الركوب بحاله من أجر الهداية فليذهب  
مأجورا

(يتبع)

عبد الوهاب عزازم

كلاهما بتقريب الفكر من بعضه ، وتوجيهه بعد ذلك الى منحى  
واحد ، فتحقق الوحدة في كل شيء ، ويستقيم لهما التواشج  
ويتم الامتزاج

فالأدب كان وما يزال أصدق ما يحمل الى الفرد خصائص  
الفرد ، وأقوى ما يعكس على الأمة مميزات الأمة ، فيجمع بينهما  
في المشابه ، ويوفق بينهما في الميول . وهو بما يدفع من جمال  
ويصور من لذة ، وينقل من مثل للاجتماع ، وفروض للانسانية ،  
وقوالب للحياة ، إنما يقتضى بما فيه من قوة الايماء أن يوحد  
من نظام الحياة في الشكل كما وحد بينه في الدخائل . وما فرضت  
أمة أدبها على أخرى إلا كان معنى ذلك أنها تفرض عليها النظام  
الذي تسير عليه ، وتمين لها الحياة التي تؤمن بها ، والفرض الذي  
ترى اليه . فاذا جاءت مقاييس الأدب عندها بمقدار واحد جاءت  
على وفق ذلك مصاير السياسة وأقيسة الحكم . وإن أوروبا الآن لتبلغ  
بأدبها في الشرق ما جعل كثيرا من خصائص الحياة الغربية  
موزعة عليه بأوفى قسط وأوفره . وما كانت لتبلغ هذا المبلغ إلا  
بما يقوم به أدبها من بث صور الحياة العقلية في العالم . وعلى قدر  
ما فرضت أدبها على الشرق فرضت سيادتها عليه ، وعلى قدر  
ما سنت له من أقيسة أدبها ومعايير الجمال فيه ، كانت سياسة  
الحكم تنصب على مقاييس بقدرها كثرة وتمدادا

وإن مصر لتتمتع منذ قرون بعيدة بأدب فيه من خصائص  
« المصري » وملازمات حياته ما يكفل لها أن تنتظم الشرق في  
وحدة أدبية تامة متى كان لها أن تعنى بذلك عناية خاصة ، وأن  
تعمل في سبيلها ، فتقيم له المؤتمرات وتدعو اليها ، وتنظم له  
الجامع وتبث له البعثات ، وتكون له في كل بلد « رابطة » ،  
وتنشئ من أجله في كل قطر سوقا ، لتضمن لها في كل شمس  
حقوقا . ولكن مصر لم تعمل لذلك حتى في أزم شمس لها  
وألصقها به . وذلك هو السودان . . .

كلما فكرت في تحليل ذلك لم أجد ما يشفع لمصر في افلات  
ما كان وما لا يزال يتبها لها أن تحقق فيه أن السودان قطعة من  
مصر يصح فيها ما يصح في مصر ، ويجرى على هذه ما يجري على  
تلك . ولا ينبغي أن نخادع أنفسنا في تقرير الحقائق ، فإن كل  
ما حصل لم يكن إلا نتيجة طبيعية لجهل مصر بالسودان واغفالها  
بداية بدء توثيق العلاقات الأدبية والروحية بينهما ، حتى لقد

بخطتهم فيما حاولوا أن يطمسوا عليه من صلوات كانت مصر هي في الحق أول من أغفل العمل في توثيقها والناية بها ، فماذا تفعل الآن ... ؟ نحن نظل اليوم على عهد جديد تأخذ العلاقات فيه صوراً جديدة فيها من صحة المعرفة وحسن التفاهم ما يعلو لنا ثقة بالمستقبل وإيماناً به ، وشموراً بالوحدة والعمل لها في جميع ما تقضى به مصالح القطرين ، وفي كل ما لا يبنى إلا أن يكونا متحدين فيه بطبيعة « الجوار » إذا لم يكن إلا هذا ما يعلى بوجود هذه الوحدة في اتجاه الحس والشمور ، وفي تبادل النافع والمصالح . وأما وقد كان هناك من مستلزمات الوحدة ما يجعل الجوار في آخر قائمة العلاقات من لغة ودين وأدب وعروبة ونيل زاهر هادر متدفق يصور الرباط المقدس بين بلدين أشد ما يكونان تلازماً وارتباطاً . أما وقد كان كل ذلك فقد توفرت بواعث توحيد الأمتين كما يتوحد النيل قطرة إلى قطرة وموجة إلى أخرى وفيضاً إلى فيض . ولكن على أي أساس يقوم ؟ إن شيئاً من سيرة مصر الأولى في السودان لن يعود إليها والحالة كما هي من تفكك في علائق الأدب وتباين في وجهة التفكير — هذا كلام صريح لا مكان فيه للتأويل — وإنا نرى قبل كل شيء أن تقوم الصلوات على الأدب في بعض ما تقوم عليه ، ولن يمر على ذلك عهد إلا ويحيى من بعده ما يكفل للقطرين الشقيقين أن يدفقا على مجرى واحد كما يفعل النيل . لا أنت نظل تقرأ وتسمع بالحاح مصر في سبيل السودان ، فموجب لها وهي لا تعرف عنا شيئاً صحيحاً . فان من الخير لنا ولها أن نلتق الآن على الفكر وتنتصل على الأدب من أن نظل هكذا لا صلتنا بصلة ولا تمارفنا بتعارف ، ولا انفصالنا بانفصال . ففي مصر « روابط » للأدب وفيها مجامع للعلم ، وعندها شباب مثقف ، وفيها صحف كثيرة ، فكم هو أنفع لها وأجدي للسودان أن تعني صحفها بشئونه فتأخذها بالمعالجة ، وتكسب عليها بالدرس ، وتتناول أدبه بالنقد والتحليل فتقارب بين الأدبين وتلائم بين الذوقين . وكم هو خير لنا ولها وأكمل للوحدة ، وأبقى على المعرفة أن يبعث البعث العلمية والأدبية — والأقتصادية كما فعلت الآن — فتحقق من حلم الوحدة بالعمل ، وتخرج بأقوالها إلى التنفيذ .

السيباني يومئذ بشير

أم درمان — السودان

استغل سادتنا الأنجليز جهل مصر القاضح بنا فوطدوا مصالحهم في السودان وانتزعوا منه كل ما يدر على مصر ، إلا علماء ماتكاد تحس له بوجود . ولو قد كان لمصر أن تصرف عنايتها بعد عام ١٩٢٤ إلى العلاقات الأدبية وتنميتها لما اتسعت الهوة الفاصلة بين القطرين إلى هذا المدى ، ولما قامت الموانع حتى دون أبسط شيء لا يغير من مجرى الحوادث بقليل . ولكن مصر لم يكن يهمها بعد ذلك أن تمود للتفكير فيما يجعل الوشيجة بينهما قوية على الحوادث ، جديدة مع الأيام حتى ضرب الأنجليز ضربتهم القاضية ، ووقفوا دون المصري والسوداني حتى عن معرفة ما ليس بد أن يعرفه كل عن أخيه ، لأنهم — وقد استغلوا هذا الجهل — كانوا يملكون أن ما ضربوا عليه من العلاقات كان شيئاً لا بد منه ، فلا ينفية الأنكار ولا يطمس عليه النسيان أو التناقل . ولهذا فهم أشد خشية أن يطلع أحد ، وخاصة إن كان سودانياً على الحقيقة التي عبثوا بها . على وجود الصلوات التي دفنت حياً بعد أن جهدوا في خنقها ، ولكنها كانت أطول نفساً وأكثر حيوية أن تموت ، على روابط صنعها الله وأحكم في توثيقها ، ولا حل لما عقد ؛ وكانوا موقنين فيما أرادوا من تفرقة ، حتى لقد حاولوا بما يبتون ويذيمون من ضروب الارهاب وألوان التكال أن يجعلوا اسم مصر بعد عام ٢٤ شيئاً لا تسوخ القوانين النطق به ، وكلما شددوا في التكبير وأمنوا في المنع ، كان اسمها أشد إغراء وأكثر جاذبية وأقوى على لفت النظر ، وحمل عامة الناس أن يبحثوا عن السر الغامض الذي يابى عليهم الأنجليز الاتصال به . ومصر — ألا سامح الله مصر — مع هذا كله لم يكن يهمها أن تعرف عن السودان شيئاً . وهي تطالب بكل ما فيه . . . !

والآن . . . لقد بلغ الأنجليز ما أرادوا . وضربت يد النذر والمطامع على كل شيء ، حتى لتوشك أن تضرب على النيل فيترزق فينغلق فلا يعود يعرف أن تكون مصر . ولقد طالما عبثت الأطماع بما بين مصر والسودان من ألفة وتماطف ، وأفسد الأستعمار هنا — في السودان — والحماية هناك ما بين هذين القطرين من روابط وصلات كلها بر وكلها رحمة . . . الآن لقد تم لهم ما أرادوا ، ففرقوا وباعدوا ، وأغربوا في التفرقة ، وأفلحوا في مخالطة الحقائق الطبيعية ، وتكروا لطرائط الجغرافيين ، وكاروا وخادعوا أن يكون شيء من هذا جديراً أن يحملهم على الاعتراف